كلية التربية **مادة / مهارات الكتابة**

الفرقة الأولى أساسي والثالثة عام / لغة عربية **د / إيمان طاهر**

المحاضرة الثانية

المبحث الخامس (تكملة الكتابة العربية)

تناول المبحث السابق الحديث عن أسس الكتابة العربية (الحروف) ، بينما يختص هذا المبحث بالحديث عن تكملة الكتابة العربية أو مكملاتها التي لحقت بها فيما بعد ، والتي يُقصد بها على وجه التحديد الشكل (أو التشكيل) ، والإعجام (أو التنقيط) .

أولًا : الشكل (أو التشكيل أو ضبط الحروف أو رسم الصوائت القصيرة) :

اقتصرت الكتابة العربية في بداية وضعها للأبجدية على تخصيص رموز كتابية (حروف) للصوامت (ء ، ب ، ت) وللصوائت الطويلة (و ا ي - حروف المد) ، ولكنها أغفلت وضع رموز للصوائت أو الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) ، رغم أهمية هذه الحركات في ضبط نظام اللغة وتلوين تركيباتها ، فليس من المتصور أبدًا أن تنطق حروف اللغة كلها ساكنة بدون حركات ، فهي حاضرة وبقوة في الأداء الصوتي للغة ، وكذلك يقوم عليها البناء الصرفي ونظام الإعراب النحوي ، فضلًا عن حضورها المعجمي والدلالي إذ بها تتميز معاني الكلمات وتتعدد اللهجات ، **ومع ذلك غابت في الصورة المكتوبة للغة** .

أسباب غيابها من الكتابة :

لا يمكن أن يكون سبب الإغفال عن وضع رموز للحركات القصيرة في الكتابة العربية هو الجهل بها أو بأهميتها ، وإنما يمكن إرجاع إهمال وضع رموز خاصة بها في الكتابة العربية إلى عدة أسباب ، منها :

- سيطرة فكرة الاختصار والاختزال في واضعي الأبجدية العربية ، والمزج بين الصامت الكثير والصائت القليل القصير .

- قوة الذاكرة اللغوية عند العرب ، فالسليقة اللغوية حاضرة ، وملكة الاستعمال عندهم قوية تستطيع التمييز بين الحروف المكتوبة وتحديد الصورة المراد منها دون الحاجة إلى تشكيلها أو ضبطها بالحركات .

- قلة نسبة الحركات القصيرة (٣ - الفتح والكسر والضم) في الأصوات العربية ، مقارنة بالصوامت (٢٨) ، والنظر إلى الحركات الطويلة (و ا ي) على أنها صورة مضاعفة للحركات القصيرة ، ويمكن أن تغني عنها .

<u>أسباب التفكير في وضعها</u> :

لما كانت الملكة اللغوية قوية وحاضرة في استعمال العربي للغة ، لم تكن هناك حاجة ملحة لإثبات التشكيل في الكتابة ، وبدت الكتابة العربية وكأنها مكتملة لا ينقصها شيء ، غير أنه مع ضعف تلك الملكة بدأ الخلل يظهر وبدأ العرب يلتفتون إلى هذا النقص في كتابتهم عندما دخل اللحن والخطأ في القراءة بعد انتشار اللغة العربية في زمن الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى ، وكان من مظاهر هذا اللحن نطق حركة مكان أخرى أو إهمال التحريك مطلقًا ، فاختل نظام الكلام واضطربت معانيه ، حتى وصل ذلك الأمر إلى قراءة القرآن ، وكسر المرفوع في قوله تعالى : (أن الله بريء من المشركين ورسولِه) ففزع لذلك العلماء ، وبدأ التفكير في وضع الحركات على الحروف لضبط نطقها حفظًا على سلامة اللغة عامة ، ولغة القرآن على وجه الخصوص ، **ومن هنا بدأت مرحلة التفكير في وضع أشكال للحركات القصيرة(ِ ُ) ، ووضع أسماء خاصة لكل حركة منها (فتحة ، ضمة ، كسرة) وقد ضمت هذه المرحلة ورين مهمين :**

<u>الأول : طور النَّقْط أو النَّقْط المدور</u> : وصاحبه على الأشهر هو أبو الأسود الدؤلي حيث اختار رجلًا فطنًا ، وأعطاه مصحفًا وحبرًا بلون مخالف لما كتب به المصحف ، وكلفه بالجلوس أمامه وطلب منه أن يستمع إلى قراءته ، بحيث إذا فتح أبو الأسود شفتيه يضع الرجل نقطة واحدة فوق الحرف ، وإن ضمها يضع النقطة إلى جانب الحرف ، وإن كسرها يضع النقطة في أسفل الحرف وإن نطق غنة (تنوين) يضع نقطتين ... وهكذا فعل من بداية المصحف لآخره حتى أتم ضبطه .

وهكذا أثمر هذا العمل عن أربعة أمور غاية في الأهمية :

- ظهور تسمية ومصطلح (الحركات) .

- وظهور أسمائها (الفتحة والضمة والكسرة) .

- وظهور مصطح الغنة الذي عُرِف بعد ذلك بالتنوين .

- وظهور أول شكل للحركات وهو (النقطة المستديرة أو النقطتين أعلى وجانب وأسفل الحرف) .

<u>(عليك الرجوع إلى آرء العلماء حول مدى صحة نسبة هذا العمل لأبي الأسود الدؤلي وسبقه إليه صـ ١٢٤ : صـ ١٢٧)</u>

الثاني : طور الشكل المستطيل :

وصاحبه هو الخليل بن أحمد ، وكان سبب ابتكاره لهذا الشكل هو استثقال الناس الجمع بين نقط التشكيل ، والنقط الأصلية في الحروف المنقوطة بعد إدخال الإعجام على الحروف ، فأصبح من الصعب عليهم التفريق بين نقاط التشكيل ونقاط الإعجام ، مما دفع الخليل إلى استحداث رموز جديدة للتشكيل تختلف عن نقاط الإعجام وتيسير القراءة على الناس .

أدرك الخليل التشابه في النطق بين الحركات القصيرة والطويلة ، فالفتحة هي بعض الألف (تنطق مثلها والاختلاف بينهما في الزمن الذي يستغرقه النطق ، فالفتحة إذا طال زمن نطقها وامتد تحولت إلى ألف) فرمز لها بألف مبسوطة فوق الحرف ، والضمة هي بعض الواو فرمز لها بواو صغيرة فوق الحرف ، والكسرة هي بعض الياء فرمز لها بياء صغيرة تحت الحرف .

وقد تأثر الخليل في وضع هذا النظام الجديد بفكرة الدؤلي عن الأمكنة (فوق وتحت الحرف) وتأثر فيه كذلك من فكرة الصلة بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة (حروف المد)

وربما لم يلجأ الخليل إلى وضع هذه الرموز بجوار الحرف **لسببين** : **أحدهما** : لئلا يحدث اللبس بينها وبين الحركات الطويلة التي تجاور الحروف بالفعل ، **والآخر** : لاختصار شكل الكلمة في الكتابة بالإفادة من الأبعاد الفوقية والتحتية لها (لجأ إلى التوسع الرأسي بدلًا عن التوسع الأفقي) .

ومما تميز به نظام الخليل عن سابقه ، هو اختصاص كل حركة بشكل يميزها بالإضافة إلى اختلاف الأمكنة ، وليس كما فعل أبو الأسود الدؤلي الي وضع شكل النقطة للحركات الثلاثة وميز بينها فقط باختلاف الأمكنة (فوق الحرف وتحته وجانبه) ، وبالإضافة إلى رموز الحركات الثلاثة ، وضع الخليل أيضًا رموزًا كتابية لظواهر أخرى مثل التشديد ، والسكون ، والإشمام والروم ، والمدة ، والتنوين ...

(عليك الرجوع إلى آرء العلماء حول نسبة هذا العمل للخليل وسبقه إليه صـ ١٢٨ : صـ ١٣١)

* وآخر ما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام هو موقف المتقدمين والمتأخرين من استحداث ظاهرة التشكيل في الكتابة العربية ، حيث انقسموا إلى **ثلاثة فرق** :

فريق مؤيد لها مُرغِّب فيها : يرى ضرورة تقييد الحروف جميعها بضبطها بالشكل منعًا لوقوع اللحن ودفعًا للبس والغموض .

وفريق آخر معارض لها مُرغِّب عنها : يرى أنه مما يعيب الكاتب ويطعن في السليقة اللغوية لدى القارئ هو الحرص على تشكيل الحروف أو ضبطها بالشكل ، كما رفضوا إدخال التشكيل في المصحف خشية أن يدخل بين دفتي المصحف ما ليس منه .

وفريق أخير وقف موقفًا وسطًا : ففرق بين ما يمكن أن يقع فيه اللبس فهذا يجب تشكيله ، وبين ما هو واضح يسهل قراءته فهذا يغفلون تشكيله ، فالحاجة هي الحكم والفيصل في ذلك .

ثانيًا : التمييز بين صور الحروف المتشابهة بالإعجام (التنقيط) :

سبق وأن أشرنا إلى أن الحروف العربية قد وضعت على أشكال وصور متشابهة وذلك في مجموعات أغلبها ثناية وبعضها إفرادية وقليل منها ثلاثية ، ولم يكن العربي قديمًا يجد صعوبة في التمييز بين أشكال الثنائيات والثلاثيات رغم غياب التنقيط عنها ، وذلك لقوة ملكته اللغوية التي كانت تمكنه من النطق الصحيح للكلمة وإدراك الكلمة المطلوبة في السياق دون التباس ، ومن ثم عايش القراء والكتاب الأوائل هذه الكتابة ذات الأشكال المتشابهة منذ وجودها ، وأدوا بها أغراضهم دون إحساس كبير منهم بما يكتنفها من غموض أو نقص .

ويبدو أن التفكير في تمييز الحروف المتشابهة لم يحدث إلا عند ظهور الإسلام ، وانتشار الكتابة ، وتفشي اللحن ، حيث صار من الأمور الضرورية التي تقتضيها قراءة القرآن الكريم ونطق العربية الفصحية ، والتغلب على الصعوبات التي واجهت المستعربين وغيرهم في التفريق بين الحروف إذا وصلت لهم في نصوص مكتوبة .

وقد أطلق على تلك الظاهرة التمييزية فيما بعد **ظاهرة الإعجام ، ويقصد بها** : التمييز بين الحروف وإزالة اللبس فيها عن طريق استخدام النقط ... والتفريق بينها بتنقيط أحدها أو أحدهما بنقطة أو أكثر وإهمال تنقيط بعضها ، فتتميز بعض الحروف بالإعجام (أي التنقيط) ، ويتميز بعضها بالإهمال (أي عدم التنقيط) .

وقد تمت عملية تنقيط الحروف العربية في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقام به عالمان كبيران هما : نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، قاما بتنقيط الحروف ، بالإضافة إلى إعادة ترتيبها وتحويلها من نظام الترتيب الأبجدي (أ ، ب ، ج ، د ...) إلى نظام الترتيب الألفبائي (أ ، ب ، ت ، ث) الذي نسير عليها إلى الآن .

وكان من منهجهما في التنقيط أن توضع نقط الحروف بحبر له نفس اللون المكتوب به الحروف ، حتى لا تختلط بنقاط التشكيل التي وضعها أبو الأسود الدؤلي بلون مخالف للون الحروف ، وذلك قبل ابتكار الخليل لأشكال الضبط الحالية .

وقد أقر الخلفاء بعد ذلك هذا الشكل الجديد للحروف العربية بعد تنقيطها وأمروا الناس باستخدامها حتى شاعت في الكتابة ، واستخدمت بعد فترة في الرسم القرآني ، وظلت مستعملة فيه إلى اليوم .

*** ومما تتسم به عملية الإعجام** :

١- أنه يقع على الأغلب بنقطة واحدة (ب ، ذ ، ج ، خ) وقد يقع بنقطتين (ت ، ق ، يـ) ، ولا يزيد عن ثلاث نقاط (ث ، ش) .

٢- يتنوع موقع النقاط بين أسفل الحرف مثل (ج) ، أو أعلاه مثل (خ) ، أو وسطه مثل (ن) .

٣- أن الحروف الإفرادية وهي ٦ (أ ، ك ، ل ، م ، و ، هـ) قد أهملت ولم تنقط .

٤- أن الذي ينقط في الحروف المتشابهة هو الثاني مثل (د ، ذ ...) ، أو الثاني والثالث ، على حين أهمل الأول وكأنه جاء على الأصل .

(استخرج بقية السمات من خلال قراءتك صـ ١٣٨ وصـ ١٣٩)

*** ويمكن تقسيم الحروف العربية من حيث التنقيط إلى أقسام أربعة :**

الأول : ما لا يدخله التنقيط البتة : وهي الحروف الستة التي لا شبيه لها (أ ، ك ، ل ، م ، و ، هـ)

الثاني : ما يلزمه التنقيط دائمًا متصلًا ومنفصلًا : وهي الحروف التي تشبه غيرها في الصورة وتختلط بغيرها إذا سقط منها التنقيط ، وهي ١٤ حرفًا (ب ، ت ، ث ، ج ، خ ، ذ ، ز ، ش ، ض ظ ، غ ، ف ، ن ، ق) ، وقيل يمكن حذف نقاط النون والقاف إذا انفصلت (أي هكذا ن ، ق) لأنها في هذه الحالة لا تشبه غيرها في الصورة ، أما إذا اتصلت (أي هكذا نـ ، قـ) فلا يصح حذف النقط منهما وإلا التبست النون بالباء وأخواتها ، والتبست القاف بالفاء .

الثالث : ما يستغنى عن تنقيطه تمييزًا له عن نظيره المنقط ، وهي ٧ أحرف (ح ، د ، ر ، س ، ص ، ع ، ط) .

الرابع : ما يستغني عن نقطه في حال انفصاله ، ويلزمه التنقيط عند اتصاله ، وهو حرف واحد وهو الياء (متصلة يـ) و (منفصلة ى) ، وقد يضاف إليها النون والقاف (ن ، ق) كما سبق .

****

تمت المحاضرة ، والحمد لله أولًا وآخرًا